جامعة الجيلالي بونعامة –خميس مليانة

كلية العلوم الاجتماعية والانسانية

قسم علم الاجتماع

السداسي الثاني 2023/2022

محاضرة: النظريات السوسيولوجية للانحراف والجريمة

الرصيد:05

المعامل:02

الأستاذ المحاضر: د. بوزار يوسف

محتوى المادة: (تابع للجزء الأول)

1_ النشاط الرتيب

2_ نظرية الاختيار العقلاني

3_ نظرية أسلوب الحياة

4_ النظرية الظاهراتية

5_ نظرية تشكل رد الفعل للعالم كوهن

6_ نظرية الراديكالية الأنثوية

7_ نظرية الاحتواء

8_ نظرية تباين الفرص

9_ نظرية الوصم عند بيكر

10_ نظرية النوافذ المكسرة

11_ نظريات ما بعد الحداثة

المحاضرة الخامسة: نظرية تشكل رد الفعل للعالم كوهن. .

تعد نظرية تشكل رد الفعل للعالم كوهن من النظريات التي ركزت على جرائم الأحداث في الطبقات الدنيا، على غرار نظرية اللامعيارية لميرتون، ونظرية تباين الفرص لكلوارد وأهلن، وهذا راجع لانتمائهم للطبقة الفقيرة.

ولد كوهن سنة 1918 بوسطن لأسرة تنتمي للطبقة الفقيرة، درس في هارفرد على يدي ميرتون وبارسونز، وتتلمذ ايضا على يد سذرلاند في جامعة انديانا، وحصل على الدكتوراه سنة 1951، ووضع نظريته فيها بشكل مبدئي.

اعتمد كوهن في تفسيره لانحراف الاحداث على أعمال ميرتون وكلوارد وأهلين، وبعد دراسة نقدية تصل إلى أن كلا النظريتين تناولتا كيفية استمرار الحدث المنحرف في العصابة، إلا أنهما لم يتطرقا إلى عملية نشوء الانحراف لأول مرة، هذه النقطة ركز عليها كوهن في بناء نظريته.

توصل كوهن وهو يبحث عن أصل نشوء الانحراف إلى أن المجتمع الأمريكي في المدن الكبرى مقسم إلى ثلاث طبقات الفقيرة والوسطى والعليا، وأن كل أفراد هذه الطبقات يبحثون عن تحقيق مكانة اجتماعية، والتي تعبر غالبا عن قيم نشأ عليها أبناء الطبقات الوسطى والعليا، وتعمل بيئتهم الأسرية بالدرجة الأولى على ترسيخها الشخصي، وهي قيم التعلم والاحترام والطموح والعمل والابتعاد عن الملذات التي تجلب الشرور والآثم، وهذه القيم يفتقر إليها ابناء الطبقات الدنيا الذين لم تتح لهم الفرص للتعليم أو حتى اكتساب هذه القيم من بيئتهم الأسرية، وبالتالي يعملون على انتاج ثقافة فرعية منحرفة كحل لهذه المشكلة، تعبر عن القيم والمعايير السائدة في الثقافة التحتية، والتي تسمح لهم بالاندماج والترابط وخلق مواقف مشتركة فيما بينهم، والتمرد على قيم الطبقات الوسطى والعليا، وذلك تعبيرا عن رفضهم للتميز والتفرقة واللامساواة في المعاملة الذي يمارسه أبناء الطبقات المتوسطو والعليا، وهذا ما أطلق عليه كوهن بتشكل رد الفعل، وحسبه هو الأساس في فهم أصل الانحراف.

كما يمكن رصد أهم الأفكار التي جاءت في النقاط التالية:

1. أفراد المجتمع يشتركون في نسق قيمي مشترك يؤكد على قيم دون غيرها، وفي امريكا غالبا ما تكون هذه القيم هي قيم الطبقة الوسطى.

2. إن هذه القيم المشتركة تؤكد على أهداف العلاقة العضوية بتحصيل المكانة الاجتماعية، وهكذا تصبح المكانة هدفا ثقافيا.

3. غالبا ما تتوفر الفرص بشكل أكثر لأبناء الطبقات الوسطى لبلوغ الأهداف الاجتماعية.

4. إن المؤسسات الاجتماعية وبالذات النظام التعليمي يعكس قيم وأهداف الطبقات الوسطى، وبناء عليه يقيم الأخرون تبعا لتلك القيم.

5. وبما ان فرص طبقة الفقراء محدودة غالبا لا يقيمون بشكل ودي علاقة مع النظام المدرسي، مما يدفع بهم إلى الإحباط في السعي وراء المكانة الاجتماعية.

6. وبسبب عدم مقدرتهم على استخدام الفرص المدرسية (الحصول على علامات مرتفعة) يثور أبناء طبقة الفقراء ويتشكل رد فعل ضد قيم الطبقة الوسطى علما أن هدفهم هو المكانة.

7. مع مرور الزمن يلجأ أبناء الطبقات الفقيرة لصنع نسق قيمي مضاد لقيم الطبقة الوسطى وعادة ما يكون غير سوي إلا أنه يوفر لهم فرص الحصول على المكانة الاجتماعية.

المحاضرة السادسة: نظرية الراديكالية الأنثوية

حاول الاتجاه الراديكالي تفسير السلوك المنحرف على عكس ما جاء به الاتجاه الليبرالي القائل أن خروج المرأة للعمل والتعليم يزيد فرص انحرافها، وركزت النظرية الراديكالية على مفهوم الجندر وعنصر الأبوية كمفاهيم رئيسية في التقسيم الاجتماعي بين الجنسين، كما يرى هذا الاتجاه أن التمييز بين مكانة وادوار كلا من الرجل والمرأة لا يرجع إلى عوامل بيولوجية وإنما مرده إلى عوامل اجتماعية وثقافية واقتصادية.

فقد أرجع **ماركس** و**انجلز** التغيير في أدوار كلا من الجنسيين إلى التطور الإقتصادي الذي مرت به المجتمعات، فقد حاول **انجلز** في مؤلفه "الأسرة والملكية" أن يقدم تفسيرا للإستغلال الطبقي، ونشأة الملكية الخاصة، وأوضح أنه في النظام العشائري كان للمرأة الدور الحاسم في العملية الانتاجية، وكان دور الرجل هو الخروج للصيد وأما دور المرأة فكان جمع الثمار والانجاب وتربية الأبناء، وبهذا اكتسبت مكانة أفضل من الرجل.

كما فسر **انجلز** تدني مكانة المرأة إلى التطور الذي حدث في قوى الانتاج وظهور وتطور نظام تقسيم العمل، وتطور نظام الملكية الخاصة، وحينئذ عرفت المجتمعات مصطلح الطبقية وظهرت المجتمعات الإقطاعية ولرأسمالية، وظهر النظام الأبوي، ومنه تدنت مكانة المرأة، وانحصر دورها وامكانياتها الانتاجية في الحدود البيولوجية.

بالرغم أن النظام الأبوي هو نظام تاريخي فمنذ القدم يسيطر جنس الرجال على النساء، فالرجال مسيطرون على النساء في مواضيع الجنس والذي يتبعا حتما الأمومة والعنف والاغتصاب والتعدي.

وترى كلين وكرس أنه إذا استطاعت حركة تحرير المرأة أن تطور تحليلا طبقيا لاضطهاد المرأة وتضع برنامجا حول هذا الوضع الطبقي الخاص بالمرأة العاملة وتختفي الصفات الفردية والمنافسة، يصبح التحرر الحل الناجح لخفض معدلات الجريمة عند المرأة وأيضا خفض جرائم العنف من قبل الرجال ضد النساء.

وأما **الاتجاه الليبرالي الأنثوي** ومن رواده شامبان Champan و داتسمان Datesman وزميلاتها، جاء من أجل تفنيد النظام الراديكالي المتمثل في النظرية الماركسية والأسس التي يقوم عليها في تفسير التمييز بين الجنسين، والدليل على ذلك استخدامهم لمفاهيم مستبدلة من مفاهيم النظرية الماركسية، فالنظام الطبقي استخدم في مقابل النظام الأبوي، وعملية الانتاج مقابل عملية الانجاب، والنضال ضد التفوق الذكوري مقابل النضال ضد الطبقية الرأسمالية، فالأسس النظرية لهذه الحركة تنطوي على تدعيم النظام الرأسمالي، وبالتالي فهي حركة ليبرالية تمثل أبناء الطبقة البرجوازية التي تطالب بالمساواة والحرية.

ويرى هذا الاتجاه أن هناك عدم مساواة في التعامل مع الاناث وخاصة في نظام العدالة الجنائية، وأن مفاهيم النخوة والشهامة هي من مخلفات الماضي، وأنه لا بد من إعادة النظر في المساواة بين المرأة والرجل، وان لا يقتصر دور المرأة في بيتها، ولكن ليكن في سوق العمل والوظائف العامة، كما يعتقد رواد هذا الاتجاه أنه كلما زادت عمليات دمج المرأة في سوق العمل أكثر كلما قلت ممارسة التمييز ضدها.

تذهب هذه النظرية في تفسيرها لجرائم المرأة إلى ممارسة التمييز ضدها في سوق العمل وتهميشها، كما ترى أيضا أن الفروق الموجودة بين الجنسين هي فروق بيولوجية وليست اجتماعية، وإنما التنشئة الاجتماعية هي التي عملت على ترسيخ فكرة الفروق بين الذكر والأنثى، وترى أن الحل يكمن في المساواة بين الرجل والمرأة، ولا تضمن هذه المساواة إلا التشريعات القانونية.

المحاضرة السابعة: نظرية الاحتواء

حاولت العديد من النظريات تقديم تفسيرا للسلوك المنحرف، ولم تقتصر هذه النظريات على علم الاجتماع فحسب بل تعدته إلى علم النفس والعلوم الأخرى، ومما يزيد في صعوبة تفسير السلوك المنحرف صعوبة التنبؤ به، وقد يعود ذلك إلى تنوع الظروف والثقافات والمتغيرات، وبالتالي لا نعجب إذا كان هناك العديد من النظريات الاجتماعية والنفسية التي تتعايش مع بعضها بعضا، كما في نظرية الاحتواء التي حاولت دمج العديد من المتغيرات النفسية والاجتماعية في نظرية واحدة لتقديم تفسير للسلوك المنحرف

وهنا تبدو الحاجة ماسة إلى نظرية تجمع المجالين السيكولوجي والسوسيولوجي في تفسير السلوك المنحرف كما في نظرية الاحتواء، والتي حاولت التعرف على مستوى:

_ **الاحتواء الداخلي** (مفهوم ذات جيد، الضبط الذاتي، وقوة الأنا والأنا الأعلى) في التقليل من الميل للانحراف.

_ **الاحتواء الخارجي** المتمثل في دور كل من (الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق) في التقليل من الميل للانحراف.

وطبقا لمكونات نظرية الاحتواء ل**ركلس. فالاتجاه السيكولوجي** يعنى بالدراسة العلمية للسلوك والعقل والتفكير ودراسة المفاهيم والمتغيرات الداخلية للشخصية الإنسانية، والتي تشكل قوة دافعة للسلوك الإنساني مثل: مفهوم الذات والمكونات العقلية الثلاث (الأنا والهو والأنا الأعلى وغيرها)، بهدف التوصل إلى فهم السلوك وتفسيره والتنبؤ والتحكم به، ومثل هذه المتغيرات الداخلية في الشخصية، تحدد إنتاج كل من السلوك السوي أو غير السوي.

أما الاتجاه الثاني الذي عني بتفسير السلوك الإنساني وهو **الاتجاه السوسيولوجي**، حيث اهتم باستخدام الطرق المنظمة والتحقق التجريبي والتحليل النقدي لتطور المعرفة حول المجتمعات الإنسانية ونشاط الإنسان الذي يتراوح بين المستويين المايكرو Micro أي الجزئي مثل المؤسسات الاجتماعية كالأسرة والمدرسة وغيرها، وكذلك الماكرو Macro أي الكلي كالأنظمة الاقتصادية والثقافية والسياسية وغيرها.

لقد تفرد علم الجريمة الذيً قدم العديد من التفسيرات

نجد أن نظرية الاحتواء Containment theory تعد من نظريات الضبط الاجتماعي التي تركز

على التضامن الاجتماعي في الضبط الاجتماعي، وأن هناك العديد من العوامل الاجتماعية والنفسية التي تشكل قوة دافعة للسلوك الإنساني، حيث لم تغفل نظرية الاحتواء عن المتغيرات النفسية في تفسير السلوك المنحرف.

حيث أكد **ركلس** أن الفرد يتعرض لنوعين من الضغوط هما:

1) الضغوط الداخلية: وتمثل الرغبات النفسية أو الميول التي تدفع الفرد نحو الجريمة وتشمل العدوان والإحباط والغضب والتوتر والثورة والصراع العقلي والحاجة إلى الإشباع الآني.

2) الضغوط الخارجية: والتي تشمل الضغوط الاجتماعية والشروط الحياتية الصعبة كالفقر والحرمان، والبطالة، أما عوامل الجذب الخارجية تشمل جماعة الرفاق المنحرفين والعضوية في ثقافات فرعية للمنحرفين والفرص غير المشروعة والصور الإعلامية.

ويرى **ركلس** أنه يمكن التصدي للضغوط الداخلية والخارجية وعوامل الجذب الخارجية والداخلية عن طريق الاحتواءات الداخلية والخارجية، وأن الأطفال الذين يتعرضون للاحتواءات الداخلية والخارجية هم أقل ميلا للانحراف والجريمة.

وبذلك تعد نظرية الاحتواء من النظريات التكاملية التي اهتمت بدراسة الفرد في المجالين السيكولوجي النفسي، والسوسيولوجي الاجتماعي حيث ركز **ركلس** من خلال نظريته على نوعين من الاحتواء هما

1_ الاحتواء الداخلي Inner containment أو العوازل الداخلية، ويشمل مفهوم ذات جيد، أنا قوية،

وأنا أعلى متطورة، وضبط ذاتي جيد وتحمل عالي للإحباط والقدرة على إيجاد بدائل للإشباع، وتحديد الأهداف، والإحساس بالمسؤولية بما يطور الإحساس الموجب بالذات والالتزام بالقيم أو القوانين.

2-الاحتواء الخارجي Outer containment أو العوازل الخارجية التي تشكل الحاجز والعازل البنائي في بيئة الفرد ومحيطه الاجتماعي، وتتألف من عوامل مثل الإحلال وتعزيز السلوك الجيد والقيم والمعايير والتوقعات الاجتماعية والانضباط الكافي والإشراف والإحساس بالانتماء والهوية والعلاقات خصوصا في العائلة، وهذه العوامل تساعد كل من (الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق) في احتواء الأطفال، وتفترض نظرية الاحتواء أن السلوك المنحرف يزداد عندما يضعف الاحتواء الداخلي والخارجي.

أولا: الاحتواء الداخلي: ويضم

_ مفهوم الذات Self-Concept حصيلة مجموعه من العوامل الاجتماعية المتفاعلة كالعلاقات الوالدية الجيدة وعزل الفرد عن مجموعة الأفراد الجانحين، وعلى النقيض من ذلك افترض **ركلس** أن مفهوم الذات

السلبي هو حصيلة تفاعل العوامل الاجتماعية غير الناجحة كالعلاقات الأسرية غير الجيدة والانضمام لجماعة الرفاق المنحرفين .

_ **قوة الأنا والأنا الأعلى المتطورة:** تفترض نظرية الاحتواء بأننا جميعا لدينا الحوافز للسلوك الإجرامي، ولكن الفروق الفردية في السلوك الإجرامي لا تشير إلى الاختلاف في الحافز بل تشير إلى وظيفة الضبط التي تمارسها الأنا Ego والأنا الأعلى Super–ego في الأوضاع الخارجية الفورية، ولتطوير نضج الأنا والأنا الأعلى فنحن بحاجه للدفء والعناية والانتباه الإشراف والتدريب المباشر والنمذجة المباشرة وتطور مهارةالأخلاق، ولكن ما يمنع تطور الأنا والأنا الأعلى هو الإساءة والإهمال.

_ **الضبط الذاتي Self – Control:** يعد مفهوم الضبط الذاتي من متغيرات الاحتواء الداخلي، وتستند هذه النظرية إلى أن الأفراد الذين يتمتعون بالضبط الذاتي المرتفع هم أقل ميلا وبكافة الفئات العمرية للانخراط بالانحراف، بينما أولئك الذين يتمتعون بالضبط الذاتي المنخفض أكثر ميلا لارتكاب الجريمة.

ثانيا: الاحتواء الخارجي:

أكد **ركلس** في الجزء الثاني من نظريته وهو الاحتواء الخارجي، الذي يتكون من دور (الأسرة، والمدرسة، وجماعة الرفاق)، حيث تشكل الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق بيئات اجتماعية رئيسة لغالبية المراهقين، ويقضون غالبية أوقاتهم إما في البيت أو المدرسة أو مع الرفاق، فهذه البيئات الثلاث تشكل تأثيرا كبيرا على سلوك المراهقين.

_الأسرة: هي إحدى أقوى مؤسسات التنشئة الاجتماعية الرئيسة في الحياة، لأنها تعلم الأطفال ضبط سلوكاتهم غير المقبولة، وتأجيل الإشباع، واحترام حقوق الآخرين، فممارسة الأبوة الإيجابية خلال السنوات المبكرة ولاحقا في المراهقة يظهران كحواجز يمنعان السلوك الجانح وأن أفضل مرحلتين تمارس الأسرة دورهما في رعاية الأفراد هما الطفولة والمراهقة.

ولقد أثبتت العديد من الدراسات أن الجنوح كان أكثر احتمالية للحدوث عند الأطفال من أسر وبيوت مفككة، مع وجود التوتر ضمن الأسرة، والأبوة والأمومة غير المرضية، وعدم التماسك والثبات والإحباط الاجتماعي في الأسرة، وإن تعرض الفرد لأنواع مختلفة من العنف داخل الأسرة وخارجها، أو افتقار البيئة المحيطة به عاطفيا سيؤدي لانشغال المراهق بالأعمال الجانحة وخصوصا في فترة المراهقة المبكرة

_ **المدرسة:** أكد **ركلس** على دور المدرسة في الاحتواء الخارجي للمساهمة في التقليل من الانحراف. حيث يمثل النسق التربوي أحد الأنساق الاجتماعية المهمة التي تؤدي عملاً حيوياً في المحافظة على بناء

المجتمع واستقراره، بنقل القيم والمعايير، فالمدرسة ليست فقط لتزويد الفرد بالعلم والمعرفة بل تمارس دورا كبيرا في تنشئة الأطفال، وتعد كذلك بيئة آمنة للوقاية من الانحراف من خلال العديد من النشاطات التي تمارسها تجاه الأطفال كالإشراف والمراقبة وتعزيز السلوكيات الجيدة وتأكيد القوانين والقواعد والتعليمات للمحافظة على السلوكيات السوية، بينما توصلت العديد من الدراسات البريطانية بأن سلوك الجانحين كان استجابة للافتقار للنجاح المدرسي والعملي.

_ جماعة الرفاق: أما المتغير الثالث الذي أكد عليه **ركلس** في الاحتواء الخارجي هو جماعة الرفاق، فهي تمارس دورا مهما في التنشئة الاجتماعية لأن الأفراد يحاولون الالتزام بتوقعات جماعة الرفاق ،وهذه الجماعة لها خاصية الاحتواء، فجماعة الرفاق تسهم في تنمية الفرد نفسيا واجتماعيا، لأنها تزود الفرد بالقبول وتقلل أيضا من المشكلات السلوكية لأنها مستندة على الاحترام المتبادل والتقدير، وتزود الفرد بتقدير الذات وتشكيل صورة الذات وتساعد على التوافق النفسي، وتسهم في تطورهم عاطفيا واجتماعيا، أما الأفراد غير القادرين على إقامة علاقات وصداقات مع جماعة الرفاق ذات المستويات العالية من الجودة، فإن ذلك يؤدي بهم إلى الانخراط في السلوك العدواني، والشعور بالوحدة والاكتئاب، وتعد جماعة الرفاق المنحرفة عاملا حاسما في الجنوح، وذلك من خلال تأثير جماعة الرفاق وضغط الرفاق.

ومنه فمتغيرات الاحتواء الخارجي (الأسرة والمدرسة وجماعة الرفاق) تؤكد على التنشئة الاجتماعية، وبالتالي تؤثر على قوة أو ضعف متغيرات الاحتواء الداخلي التي قد تقود للسلوك المنحرف أو السلوك السوي نتيجة تأثير التنشئة الاجتماعية التي يمر بها الفرد، ولذا تعتبر نظرية الاحتواء من نظريات التنشئة الاجتماعية والتي أكدت عليها من خلال المفاهيم السيكولوجية والسوسيولوجية التي تمثل أصولا لنظرية الاحتواء.

المحاضرة الثامنة: نظرية تباين الفرص.

ترجع جذور نظرية الفرصة المتباينة إلى مقالة كتبها "كلوارد" عام 1959، وتعد النظرية كما طرحها فيما بعد " كلوارد و أوهلن" 1960 محاولة للاستفادة من نظرية "ميرتون" عن الأنومي التي تهتم بتحديد المصادر الاجتماعية للانحراف، ونظرية "سذرلاند" عن المخالط الفارقة التي تهتم بكيفية انتقال السلوك المنحرف إلى الأفراد والجماعات من خلال عملية التعلم، وتهتم هذه النظرية بصفة أساسية بتفسير ظهور الجماعات الجانحة في الطبقات الدنيا، والعوامل المؤدية إلى ظهور أنماط مختلفة من الثقافات الخاصة الجانحة.

وينحصر اهتمام هذه النظرية بالدرجة الأولى بأحداث الطبقة الدنيا ذوي القدرات والمهارات العالية التي تمكنهم من الوصول وتحقيق الأهداف والقيم التي ينادي بها المجتمع _ وخاصة طبقته الوسطى_ من امتلاك واستهلاك السلع الفاخرة، وتحقيق أكبر قدر من الاشباع وأعلى مستوى من النجاح، ولكنهم بالرغم من مهاراتهم وقدراتهم المرتفعة فإنهم عاجزون عن بلوغ تلك القيم وتحقيق هذه الأهداف، وذلك لأن المجتمع لا يتيح الفرص بدرجة متساوية وعادلة أمام جميع أفراده.

وإذا كانت نظرية الأنومي عند "ميرتون" قد ذهبت في تفسيرها للسلوك المنحرف إلى أن التناقض بين الأهداف التي تقول بها ثقافة المجتمع، وبين الوسائل المشروعة لتحقيقها يؤدي إلى ظهور أنماط من الاستجابة المنحرفة، فإن نظرية الفرصة المتباينة عند "كلوارد وأوهلين" تضيف بعدا آخر وهو مدى توافر الفرص أمام بعض الجماعات التي تشغل أوضاعا معينة في البناء الاجتماعي لتحقيق أهدافها بالوسائل المنحرفة، فنظرية الفرصة المتباينة تتضمن بعدين أساسين هما:

1_ مدى توافر الفرص المتاحة لاستخدام الوسائل المشروعة والمقبولة اجتماعيا لتحقيق الأهداف.

2_ مدى توافر الفرص المنحرفة لتحقيق الأهداف.

ويتعلق البعد الأول بمدى توافر الفرص المشروعة لتحقيق الأهداف، وهو مستمد من نظرية الأنومي، ويتعلق البعد الثاني بمدى توافر الفرص المنحرفة المتاحة لتحقيق الأهداف، متضمنا الجماعات والأنماط السلوكية المنحرفة المستمدة من نظرية المخالطة الفاصلة.

يقرر "كلوارد وأهلين" أن شكل الثقافة الخاصة الجانحة يعتمد على درجة التكامل الموجود في المجتمع، وبالتالي ذهبا إلى أنه بدون وجود بناء إجرامي مستقر فإن أحداث الطبقة الدنيا لن تكون أمامهم فرصة كبيرة للنجاح في الحياة من خلال استخدام الوسائل الإجرامية، أكثر مما كانوا يستطيعون تحقيقه من خلال استخدام الوسائل المشروعة، فلن يكون هناك "مهنة إجرامية" أو "عمل تجاري اجرامي" يمكن الانضمام إليه، ولا طريق لتعلم السلوك الاجرامي الصحيح، ولا وسيلة لأن يصبح الفرد مجرما محترفا.

وتذهب نظرية الفرصة المتباينة في تفسيرها للسلوك المنحرف إلى أن شباب الطبقة الدنيا في المناطق الحضرية يعيشون في عالم من انفصال كبير بين الآمال والأهداف وبين الفرص المشروعة المتاحة لتحقيق وبلوغ تلك الآمال والأهداف، مع وجود فرص منحرفة –في نفس الوقت– متاحة لشباب هذه الطبقة المحرومة لتحقيق هذه الأهداف، فالانفصال بين ما يرغب فيه شباب الطبقة الدنيا، وبين ما هو متاح من وسائل مشروعة يعد المصدر الأساسي لمشكلة التكيف.

ويذهب "كلوارد واهلين" إلى ذلك التناقض بين الأهداف ينتج نوعين من الحلول هما:

1_ الحل الجمعي (الجماعي)

2_ الحل الفردي.

فإذا كان فشل الأفراد في تحقيق أهدافهم مرتبطا بالبناء الاجتماعي، أو يرجع إليه بسبب نقص الفرص، فمن المحتمل أن يسعى الأفراد إلى البحث عن حل جمعي (جماعي)، ويتمثل ذلك الحل في الثقافة الخاصة الجانحة.

أما إذا اتسم الفشل في تحقيق الأهداف بالطابع الفردي، فإن الفرد يبحث حينئذ عن حل فردي لمشكلته، وفي ضوء ذلك تربط نظرية "كلوارد وأهلين" بين عناصر أربعة هي:

1_ نسقا الفرص المتباينة (المشروعة– المنحرفة).

2_ تحقيق الأهداف من خلال الوسائل المشروعة، ما يؤدي إليه الفشل في تحقيها من احباط.

3_ ظهور الثقافة الخاصة الجانحة كحل جمعي لمشكلة الاحباط.

4_ استخدام الوسائل المنحرفة لتحقيق الاهداف.

وهنا تبرز نقطتان أساسيتان هما:

1_ تقسيم الثقافة الخاصة الجانحة إلى ثلاثة أنماط رئيسية هي: الاجرامية والصراعية والانسحابية، ويمثل كل نمط مشكلة خاصة مع النظام، وبينما ينتشر النمط الصراعي والانسحابي في مناطق الطبقة الدنيا، فإن النمط الاجرامي يوجد في مناطق الطبقة الوسطى، بالإضافة إلى وجوده في مناطق الطبقة الدنيا، على أن انتشار الأنماط الثلاثة للثقافة الخاصة الجانحة في مناطق الطبقة الوسطى أمر لم يتحقق منه حتى الأن.

2_ هناك تأكيد قوي من جانب "كلوارد وأوهلين" على مدى توافر الفرص كعامل هام في ارتكاب السلوك المنحرف، ويبدو ذلك في محاولة الربط بين نظرية الأنومي، ونظرية المخالطة الفاصلة.

ويذهب "كلوارد وأوهلين" إلى أن الثقافة الخاصة الجانحة تتضمن أنماطا معينة من الأفعال الجانحة تعد من المستلزمات الضرورية للتوافق مع الأدوار التي تتضمنها الثقافة الخاصة، الأمر الذي يجعل من نمط الجناح المتعلق بالثقافة الخاصة الجانحة أكثر خطورة من أنماط الجناح الأخرى.

وقد حدد "كلوارد وأوهلين" ثلاثة أنماط من الثقافة الخاصة الجانحة وهي:

_ الثقافة الخاصة الاجرامية.

_ القافة الخاصة الصراعية.

_ الثقافة الخاصة الانسحابية.

1_ الثقافة الخاصة الاجرامية: يتطلب استمرار الثقافة الخاصة الجانحة تأييدا وتعزيزا من البيئة، وتوفر نمط تكاملي بين المجرمين، وبين مستويات السن المختلفة للمجرمين، نظرا لأن عملية تعلم السلوك الاجرامي واكتساب المهارات والخبرات الاجرامية تتضمن مجموعة من أنماط العلاقات يتم من خلالها نقل وتعلم الخبرات من مستوى سن إلى مستوى سن أخر، ويذهب "كلوارد وأوهلين" إلى أنه بين الطبقات الدنيا غالبا ما توجد أمثلة ناجحة لنماذج السلوك الاجرامي، حيث يعد كبار المجرمين سمة ظاهرة وناجحة تدفع الشباب إلى الاحتذاء بهم والتقرب إليهم، وفي نفس الوقت يرغب كبار المجرمين في إقامة علاقات ودية مع هؤلاء الشباب.

على أنه يجب التأكيد على أن عملية التعلم بمفردها لا تعني أن الفرد يستطيع أن يمارس بنجاح الدور الذي تم تدريبه عليه، فالبناء الاجتماعي يجب أن يتيح ويقدم الفرصة لممارسة هذا الدور، كما أن الأدوار الاجرامية لا يمكن أن توجد أو تستمر إذا لم يكن هناك ترابط وتفاعل بين حملة الثقافة الاجرامية وحملة الثقافة التقليدية، حيث أن هناك نسقا من العلاقات المعقدة المتبادلة بين المجرمين والأسوياء يؤدي إلى قيام الثقافة الخاصة الجانحة.

2_ الثقافة الخاصة الصراعية: تتميز الثقافة الخاصة الصراعية بالعنف، فالمكانة في المجتمع يتم تحقيقها من خلال استخدام القوة، أو على الأقل التهديد باستخدامها، ويؤدي استخدام العنف إلى تعريض حياة أفراد المجتمع للخطر، وتعريض ممتلكاتهم للتلف والتدمير، ولذلك فإن الثقافة الخاصة الصراعية تعد من أخطر أشكال الثقافة الخاصة الجانحة، نظرا لما يترتب عليها من أخطار وأضرار تهدد حياة أفراد المجتمع وممتلكاتهم.

ويرى "كلوارد وأوهلين" أن المناطق المنهارة سيئة التنظيم تعد بيئة مناسبة وصالحة لظهور وانتشار الثقافة الخاصة الصراعية، فعندما يسود المجتمع حالة من التفكك وسوء التنظيم فإنه لا يتيح لأفراده بصورة متساوية وعادلة الوسائل المشروعة لتحقيق أهدافهم، الأمر الذي يترتب عليه لجوء الأفراد إلى الثقافة الخاصة الاجرامية لتحقيق أهدافهم، ولكن نظرا لاتسام تلك المناطق بالتفكك فلا توجد بها أنساق الفرص الاجرامية لعدم وجود تكامل بين مستويات السن المختلفة للمجرمين، وأيضا عدم وجود تكامل بين حملة القيم الاجرامية وبين حملة القيم التقليدية، الأمر الذي يؤدي في النهاية إلى ظهور الثقافة الخاصة الصراعية.

وكما فشلت تلك المناطق تلك المناطق المنهارة في إقامة تنظيم اجتماعي شرعي يتيح للأفراد تحقيق أهدافهم، فإنها أيضا تفشل في إقامة نسق إجرامي مستقر لافتقارها إلى نسق تعليم السلوك المنحرف ونسق الفرصة لارتكاب ذلك لسلوك المنحرف، كما أن تلك المناطق غالبا ما تضم المنبوذين من عالم الجريمة، ولا يعني ذلك أن الجريمة لا توجد في تلك المناطق، ولكن الجريمة هنا هي الجريمة الفردية العشوائية التي يقضي مرتكبها معظم حياته في السجن فالجريمة مثل أي مهنة أو عمل تجاري لا تستمر ولا تقوى إلا في المناطق المستقرة والمتكاملة، وبالتالي فإن المناطق المنهارة التي يسودها سوء التنظيم وعدم الاستقرار لا تصلح كموطن آمن للمستقبل الاجرامي، وهنا لا تعد الثقافة الخاصة الصراعية نتيجة لشعور الشباب

في المناطق المنهارة بالإحباط والحرمان من الفرص التقليدية المشروعة فقط، ولكن أيضا من الفرص الاجرامية.

3_ الثقافة الخاصة الانسحابية: تتميز باتجاه أعضائها نحو الانعزال عن المجتمع، وعدم ممارسة أي سلوك إيجابي داخل المجتمع، وعادة ما يتسمون باللامبالاة وعدم الاهتمام بما يدور حولهم، كما ينتشر بينهم تعاطي المخدرات وتناول المشروبات الكحولية.

ويعد الحصول على المخدرات واكتساب الخبرة في تعاطيها من العوامل الدافعة إلى تكوين الثقافة الخاصة الانسحابية، وبالرغم من قوة هذه العوامل الذاتية فإنه عادة ما تكون الروابط بين المتعاطين ليست على نفس القدر من قوة التماسك الموجودة بين أفراد الثقافة الخاصة الاجرامية، ولعل ذلك يرجع إلى أن الادمان في حد ذاته يعد أحد حالات التكيف الفردي.

ويلاحظ بصفة عامة أن نمط السلوك الانسحابي ورد بنظرية الأنومي، ونظرية الفرصة المتباينة، إلا أن هناك فرقا بين نمط الاستجابة الانسحابية عند "ميرتون" ونمط الثقافة الخاصة الانسحابية عند "كلوارد وأوهلين" ، فبينما أرجع "ميرتون" أسباب الاستجابة الانسحابية بصورة مباشرة إلى التناقض بين الأهداف والوسائل، ذهب "كلوارد وأوهلين" إلى أن الثقافة الخاصة الانسحابية لا توجد إلا إذا فشل الفرد في انتهاج السلوك الاجرامي لتحقيق أهدافه، فالثقافة الخاصة الانسحابية هنا ليست نتيجة مباشرة للتناقض بين الأهداف ووسائل تحقيقها بالطرق المشروعة، ولكن للتناقض أيضا بين الأهداف ووسائل تحقيقها بالطرق الاجرامية.

ومن ذلك يتضح أن فشل الفرد في تحقيق الأهداف من خلال استخدام الوسائل الاجرامية يجعله أمام اختيارين: إما أن ينتهج سلوكا يتسم بالعنف وينضوي تحت لواء الثقافة الفرعية الصراعية، أو ينسحب من المجتمع مفضلا البقاء في ظل الثقافة الخاصة الانسحابية.

النقاط الأساسية للنظرية:

1_ يشترك أفراد المجتمع في مجموعة مشتركة من القيم التي تركز على أن وجود أهداف معينة في الحياة مرغوبة ثقافيا.

2_ توجد وسائل معيارية لتحقيق هذه الأهداف، وهي وسائل مشروعة وغير مشروعة.

3_ لا تتاح الوسائل المشروعة وغير المشروعة بصورة عادلة لكل جماعات وطبقات المجتمع.

4_ عادة ما تكون الأولوية لأفراد الطبقات الوسطى والعليا في بناء الفرصة المشروعة (العمل والسياسة)، بينما تكون الأولوية لأفراد الطبقات الدنيا في بناء الفرصة غير المشروعة (الجريمة المنظمة).

5_ في أي منطقة حضرية للطبقة الدنيا تحدد درجة التكامل بين هذين البناءين للفرصة التنظيم الاجتماعي للمجتمع، فكلما قلت درجة التكامل كلما تميز المجتمع بالتفكك.

6_ توفر المجتمعات ذات التنظيم الجيد– والتي تتكامل فيها بناءات الفرصة غير المشروعة– بيئة خصبة لتعلم السلوك الاجرامي المنظم، وفي مثل هذه المجتمعات تتخذ الثقافة الخاصة الجانحة للذكور أحد شكلين، ويتوقف ذلك على درجة الاتصال بالبناء أو التنظيم غير المشروع أو الاقتراب منه:

أ) عندما تكون فرصة المشاركة الناجحة في البناء غير المشروع متاحة أمام الشباب صغير السن فإن نمط الثقافة الخاصة للجماعة يتخذ في الغالب شكل العصابة الاجرامية، يتم داخلها التدريب على ممارسة السلوك الاجرامي.

ب) عندما تكون فرص انضمام الشباب صغير السن إلى البناء غير المشروع محدودة فإن الشكل الغالب من الثقافة الخاصة هو الانسحابي، وينسحب أفراد هذه الثقافة الخاصة الانسحابية من المجتمع ويعانون من الفشل المزدوج، ويحل هؤلاء الأفراد مشكلتهم من خلال تعاطي المخدرات.

7_ تتميز المجتمعات المفككة بضبط اجتماعي ضعيف، وثقافات خاصة جانحة مفككة، يغلب عليها الشكل الصراعي، وينخرط أفراد الثقافة الخاصة الصراعية في ارتكاب أعمال العنف، والتدمير والتخريب ضد كل من بنائي الفرصة (المشروع وغير المشروع)

المحاضرة التاسعة: نظرية الوصم الاجتماعي.

هناك العديد من التسميات لهذه النظرية، فنجدها عند بعض المؤلفين تسمى نظرية الوصم، وعند البعض الاخر نظرية رد الفعل الاجتماعي، وهناك من يطلق عليها نظرية التسمية.

تعد هذه النظرية في الحقيقة جملة من النظريات، وهذا بسبب خوض العديد من العلماء فيها من الوظيفيين إلى التفاعليين فالراديكاليين، وفي البداية نعسى لإعطاء تعريف خاص بالوصم، ثم عرض محتوى وطروحات هذه النظرية.

يستخدم مصطلح الوصم في سوسيولوجيا الانحراف للإشارة بطريقة تبادلية مع نظرية رد الفعل الاجتماعي إلى التفسير الاجتماعي للانحراف، إنما يتم اعتباره نتيجة للتفاعل الاجتماعي والضبط الاجتماعي وليس باعتباره نتيجة لعوامل تتعلق بسيكولوجية الأفراد وخصائصهم الوراثية.

وتشير "الوصمة" إلى العملية التي تنسب الأخطاء والآثام الدالة على الانحطاط الخلقي إلى أشخاص في المجتمع، فتصفهم بصفات بغيضة، أو سمات تجلب لهم العار، أو تثير حولهم الشائعات، ولذلك تشير هذه العملية إلى أكثر من مجرد الفعل الرسمي من جانب المجتمع تجاه العضو الذي أساء التصرف أو كشف عن اختلاف ملحوظ عن بقية الأعضاء.

وعليه فالوصم هو الحاق النعوت والصفات الرذيلة والدونية بالأفراد وهذا لما فعلوه من سلوك، فمثلا بدلا من أن ينادى شخص باسمه الحقيقي، يناديه بيا **لص** كونه ارتكب هذه الجريمة أو حاول القيام بها، ففي مجتمعنا تلصق الكثير من النعوت وأسماء الوصم بالأفراد، إذ يتفنن الناس في استعمالها، كما أن البيئة الاجتماعية عندنا لا ترحم فهي كثيرا ما تساهم في تعميق السلوك الانحرافي عند الأفراد خاصة الضعفاء منهم، ونذكر بالخصوص فئة الأطفال غير الشرعيين الذين لا ذنب لهم في حالتهم، إذ نجد كثير من أفراد المجتمع ينادونهم "ابن الحرام" وغيرها من الاسماء القبيحة، فهذا يزيدهم سخطا وعدوانية وانتقاما من المجتمع ومن أنفسهم، ونفس الشيء بالنسبة للنساء اللواتي يرتكبن جرائم الشرف والعفة، فالوصم والنبذ هو مصيرهن، وهذا ما يزيد في إقبالهن أو العودة إلى الانحراف من جديد.

مدخل للتعريف بالنظرية:

على عكس الطروحات القديمة جاءت نظرية الوصم بنظرة مختلفة تماما تتلخص في الإجابة عن السؤال: لما يصنف المجتمع أفعالا محددة ويعتبرها جريمة؟ وما هي صفة المجتمع أو غالبية أفراده التي تمنحهم حق تحريم بعض الافعال وتحليل غيرها؟ والسؤال بمعنى آخر لما يكون الفرد مجرما؟ بل لما يجرم المجتمع أفعالا بعينها؟

فلقد رفض أنصار هذه النظرية آراء النظريات البيولوجية والاجتماعية والسيكولوجية وغيرها من العوامل المتعددة التي تؤدي إلى الجريمة.

صيغت القضية المحورية لهذا المنظور عام 1938 بواسطة العالم "تانينباوم Tannenbaum" وهي تشير إلى أن عملية تشكيل المجرم عبارة عن عملية تلقيب وتعريف وتحديد وعزل ووصف وتأكيد وادراك للوعي بالذات، وأنها تصبح طريقة لتنبيه الخصائص الحقيقية موضع الاهتمام والايحاء بها وتأكيدها وإثارتها، وكان هذا المؤلف يقصد بتلك العبارة إيضاح مسألة اساسية أصبحت فيما بعد علامة مميزة لما يعرف الآن بمنظور " رد الفعل المجتمعي" تتمثل في أن الشخص يصبح صورة مطابقة لما وصف به، سواء كان القائم بعملية الوصف هو من يقوم بالعقاب أو بالإصلاح، لأن التأكيد في كلتا الحالتين يكون منصبا على السلوك الذي يعتبر موضعا للاستهجان.

كما أن الحماس المبالغ فيه الذي يبديه المسؤولون (كالآباء، ورجال الشرطة، والمحكمة، وضباط المتابعة) ضد الفعل الانحرافي يؤدي إلى إبطال هدفهم، فكلما بذلوا جهدا أكبر من أجل الاصلاح نما الشر على أيديهم، لأن الايحاء المتواصل يؤدي إلى نتائج عكسية مهما كانت طبيعة النوايا التي تكمن وراءه، طالما أنه يؤدي إلى إبراز الذي ينبغي كبحه، إذن كلما قل الحديث عن هذه الأفعال المنحرفة كان ذلك أفضل.

وعليه يرى العالم "تانينباوم" أن ما يؤدي إلى صنع المجرم إنما هو الكيفية التي يعامله بها الأخرون، حيث أشار إلى أن تلك الكيفية وما يصاحبها من عمليات مرحلية بما يلازمها من تأثير وتأثر متبادل مشترك، إنما تؤدي إلى تأكيد الشر والإثم أو المبالغة في تصويرهما.

وحول الكيفية التي يصبح من خلالها الفرد مجرما نجد "تنينباوم" يقول: " تتصف عملية صنع المجرم بأنها عملية تحتوي على عناصر تشمل وضع علامات، وألقاب، وتعريفات، وفعل وشرح، تقوم الجماعة

بإلصاقها على الشخص، وتؤدي عملية الوصم هذه إلى خدمة أغراض الجماعة وتحقيق البعض من أهدافها، حيث أنها تساعد على بلورة نقمة الفرد الموصوم نحو نفسه، وبذلك احباط معنوياته وتشويه أخلاقياته، مما ينتج عنه تأكيد التضامن والتآزر الاجتماعي، واحتمالات الشعور بالرفعة والسمو لدى البعض منهم، وأيضا ضمان أمن الجماعة.

تتجه نظرية الوصم الاجتماعي في تعريفها للجريمة اتجاها مختلفا عن النظريات السابقة التي نظرت إلى الجريمة على أنها حالة مرضية، ويذهب "**بيكر**" إلى أن التعريفات السابقة للجريمة لم تتناولها بصورة عادلة تعرض واقع الانحراف، فالانحراف يعد كذلك من وجهة نظر المشاهد، وحيث أن أفراد الجماعات المختلفة لهم تصورات مختلفة عما هو صواب وما هو خطأ في مواقف معينة، فيؤدي ذلك أن ما قد ينظر إليه شخص على أنه سلوك منحرف، ينظر إليه آخر على أنه سلوك سوي، بل أن الشخص الواحد في ظل مواقف متباينة قد تتباين وجهة نظره إزاء ما هو صواب وما هو خطأ.

ويمكن تقسيم نظرية الوصم إلى جزئين، فالأول يهتم بالكيفية التي يتم من خلالها تجريم ووصم بعض الأفراد دون غيرهم بالجريمة والانحراف، وخير من يمثل هذا الاتجاه هو "**بيكر**" في كتابه "**الهامشيون**"، والثاني وقد اهتم بآثار الوصم على السلوك اللاحق للشخص ونجد هنا "**ليمارت**" خير من يمثل ذلك.

ويذهب "**بيكر**" أن تسمية سلوك ما على أنه منحرف يعتمد على رد فعل أفراد المجتمع إزاء هذا السلوك، فيرجع "**بيكر**" عند دراسته للسلوك الانحرافي إلى رد فعل المجتمع تجاه السلوك، فهو يهتم بدراسة السلوك الانحرافي من خلال الاجابة على التساؤلات الأتية:

1_ ما هو مفهوم أعضاء المجتمع عن الانحراف، وكيف يحددونه؟

2_ ما هي طبيعة الانماط السلوكية والخصائص الشخصية التي ينظر إليها أفراد المجتمع على أنها أنماط وخصائص منحرفة؟

ويذهب "**بيكر**" إلى ان المجتمعات هي التي تحدد الانحراف، وذلك من خلال تحديد بعض القواعد التي يعد انتهاكها انحرافا من وجهة نظر أفراد المجتمع، وبهذا فإن الانحراف هنا لا يكمن في ذاتية الفعل الذي يرتكبه الفرد، وإنما يرتبط برؤية المجتمع نحو هذا السلوك، وبالتالي فإن الشخص يعد منحرفا عندما ينظر إليه المجتمع على أنه كذلك، وبقول آخر فإن الانحراف هنا ليس صفة يوصف بها السلوك في ذاته،

ولكنه خاصية يخضعها المجتمع على سلوك معين لأحد أفراده في ضوء القيم والمعايير السائدة، ففي ضوء القانون الذي يعكس قيم المجتمع يوصف السلوك بأنه جريمة وأن مرتكبه مجرم.

وعليه يرى **بيكر** أن الانحراف هو صناعة اجتماعية، وهو يقصد بذلك القواعد والظروف والصفات الفردية ورد الفعل من قبل المجتمع يعمل كفاصل بين المنحرف وغير المنحرف، وقد يكون كلا السلوكين متشابها، وقد لا يكون السلوك (المنحرف) موجودا وحقيقيا، المهم هنا كما يقول "**بيكر**" هو رد الفعل الذي يؤمن بوجود الانحراف، وهكذا نجد أن رد الفعل هو الذي يصنع الانحراف، ومن هنا تصبح في الكيفية التي تم من خلالها اختيار الأشخاص المنحرفون أو الهامشيون ووصمهم، وأقرب مثال على ذلك تخيل أو تذكر أنه تم اتهامك بشيء لم تفعله لكن رد فعل الآخرين تم بناء كما لو أنك قمت بالفعل.

ولتوضح ما ذهب إليه "**بيكر**" من أن الانحراف الاجتماعي هو من صنع المجتمع يقدم لنا التصنيف الرباعي التالي للمنحرفين وغير المنحرفين: مدرك كمنحرف، متهم خطأ، منحرف أصيل غير مدرك كمنحرف، منحرف بالسر.

فيما يتعلق بالمنحرف الأصيل فالمجتمع يدرك حقيقة سلوكه بشكل حقيقي، أما الآخرون على الأغلب أن الحكم في وصف سلوكهم خطأ، وربما يعود وصفه بالمنحرف إلى العرق والطبقة الاجتماعية أو الجنسية أو المكانة الاجتماعية أو ارتباطه بمجموعة معينة من الأصدقاء أو مظهره الخارجي، أما المنحرفون بالسر فطبقا لدراسات التقارير الذاتية فيشكلون نسبة كبيرة من المجرمين لكنهم لم يوصموا أو يلقى القبض عليهم.

يرى "**بيكر**" أن هذه الأنماط الأربعة تشكل معضلة لدارسي الجريمة والسلو المنحرف، فالمتهم بالخطأ والمنحرف أصلا يواجهان المعاملة نفسها من الأكاديميين والرسميين.

إن حجر الزاوية في نظرية الوصم يتمثل في رد الفعل–الوصم– كمتغير مستقل حيث جرى التركيز على الاثر السلبي للوصم المتمثل في الجريمة والانحراف، ويرى "ويلكنز" 1965 أن الوصم كمتغير مستقل يمكن أن يأخذ شكلين:

1_ أن الوصم نفسه يمكن ان يجلب انتباه الناس والمؤسسات الرسمية، وهذا يسبب عملية المراقبة وإلصاق الوصم بالشخص.

2_ يمكن أن يقوم الشخص الذي تم وصم بتشرب الدور، وبالتالي يؤدي إلى قبوله، ويؤدي إلى تغيير مفهوم الذات لديه، كأن تقول فلان (سارق) ويقوم بلعب هذا الدور، علما أن العمليات السابقة على الأغلب يتم المبالغة فيها وتضخيمها.

أما الشكل الثاني من آثار الوصم فتوضحه أعمال "أدون ليمارت" وخاصة كتابة "الباثولوجيا الاجتماعية" 1951، فكان أول المتعلقين بهذا المفهوم –الوصم الاجتماعي– من اللاحقين لتنينباوم" ، الذي كان له الفضل في تحديد الاتجاه الجديد، ومن ثم استخدمه بوضوح تام في دراسته اللاحقة عن الجريمة والجنوح، وذلك حين كتب في إحدى مقالاته المنشورة عام 1948والتي ألحقها بنشر كتابه "المرض الاجتماعي" في سنة 1951.

آراء أدوين ليمرت حول الوصم:

يرى أن علم الجريمة الوضعي وضع العربة قبل الحصان من خلال الافتراض القائم على أن السلوك المنحرف يأتي أولا ثم يثير ذلك استجابات الضبط الاجتماعي.

لقد اشتهر "**ليمرت**" بمفهومي الانحراف الأولي والثانوي، والانحراف الاولي يعني السلوك العرضي أو الموقفي، والذي يمكن تبريره من قبل الفاعل أو الناظرة، ومثال على هذا النوع من الانحراف أن تقود سيارتك بسرعة 80كم في الساعة والمسموح بها 70كم في الساعة، وتبرر لنفسك أن الجميع يسوق بهذه السرعة.

الانحراف الثانوي فيكون عندما يبدأ الشخص باستخدام السلوك المنحرف أو الدور المبني عليه كوسيلة للدفاع أو الهجوم أو التكيف للمشاكل التي صنعها رد فعل اجتماعي له، وعليه فالانحراف الثانوي لا يمكن ارجاعه إلى سبب واحد، بل هو محصلة مجموعة من العمليات الديناميكية بن الشخص وانحرافه ورد الفعل الاجتماعي على هذا الانحراف، وقد وصف هذه العمليات كما يلي:

1_ انحراف أولي.

2_ عقوبات اجتماعية.

3_ انحراف أولي أكثر.

4_ عقوبات ورفض أقوى.

5_ انحراف أكثر يصاحبه السلوك العدواني والمقاومة خاصة نحو مطبقي العقوبات (مثل الاعتداء على الشرطة)

6_ يصل المجتمع إلى نقطة عدم تحمل هذا السلوك أكثر ويطالبون برد فعل رسمي لوصم هذا المنحرف (الحملات الأمنية على المطلوبين وتغليظ العقوبات).

7_ يلجأ المنحرف إلى تقويم سلوكه كرد فعل نحو الوصم والعقوبات.

8_ القبول النهائي للمكانة الاجتماعية المنحرفة، وتنصب على التكيف بناء على الدور المرتبط بالمكانة.

وهكذا يبدو الانحراف الثانوي هو عملية أخذ وعطاء بين الفرد والمجتمع بمؤسساته حتى يصل الفرد إلى قبول الهوية الجديدة، ومن هنا يمكن أن يشترك بثقافة ما، ومن هذه النقطة يصفه بالانحراف الثانوي.

أهم النقاط الملخصة لهذه النظرية:

1_ يتسم المجتمع بقيم متعددة على درجات مختلفة من التداخل.

2_ تتحدد نوعية سلوك اي فرد من خلال تطبيق القيم عليه، وبالتالي فإن تحديد ماهية السلوك على أنه منحرف تتم من خلال رد الفعل تجاه هذا السلوك.

3_ يتمثل الانحراف في نوعية رد الفعل، ولا يرجع إلى جوهر السلوك ذاته، فإن لم يكن هناك رد فعل فليس هناك انحراف.

4_ عندما يدرك المشاهدون الاجتماعيون سلوكا ما ويصمونه بالانحراف فإن مرتكب هذا السلوك يوصم أيضا بالانحراف.

5_ تكون عملية رد الفعل والوصم أكثر احتمالا عندما يكون الموصوم من فئات المجتمع التي لا تملك قوة اجتماعية مؤثرة، وبالتالي فإن الانحراف يصبح أكثر شيوعا بين الأفراد الأقل قوة في المجتمع.

6_ عادة ما يراقب من صدر عنهم رد الفعل (الأفراد، الجماعات الاجتماعية، الهيئات القانونية) بصورة قوية هؤلاء الذين وصموا على أنهم منحرفين، وبالطبع تكشف هذه المراقبة عن وجود معدلات انحراف أعلى بين هؤلاء الشخاص الموصومين.

7_ ينظر المشاهدون إلى الفرد –بمجرد الوصم– باعتباره يتصرف في ضوء ما وصم به، فالشخص الموصوم على انه مجرم ينظر إليه بالدرجة الأولى على أنه مجرم، مع تجاهل السمات الأخرى التي يتسم بها.

8_ حين يصبح الفرد يعد منحرفا من وجهة نظر أفراد المجتمع فإنه يبدأ في تقبل الوصم كهوية ذاتية، ويعتمد تقبل الوصم على مدى قوة تصور الفرد الأساسي عن ذاته، وقوة عملية الوصم.

9_ ينتج عن تغير تصور الذات تمثل الشخصية المنحرفة بكل ما بها من توجهات.

10_ يترتب على ذلك سلوك منحرف (انحراف ثانوي) يعد نتاجا لممارسة الفرد لحياته وسلوكياته من خلال تقبله لعملية الوصم، وغالبا كجزء من الثقافة الخاصة المنحرفة.

وعليه يمكن القول أن نظرية الوصم من النظريات الثورية في الحقل السوسيولوجي عامة وعلم الاجرام خاصة، حيث عملت هذه النظرية على إظهار مسؤولية المجتمع في النكسة والعود الذي يصيب الفرد الموصوم عند ارتكابه لأي سلوك مخالف للمعايير، أو عند اقترافه لجرم عن طريق الخطأ أو الصدفة.

فالمجتمع في نظر هذه المدرسة لا يرحم ولا يتسامح مع الأفراد خاصة الضعفاء منهم الذين يحكم بالوصم والجريمة، وهذا ما يزيد من تعنتهم والقبول بالصفات والتسميات الملصقة أو المعطاة لهم، بل يسعون إلى تطويرها كون أن المجتمع رفضهم.

المحاضرة العاشرة: نظرية النوافذ المكسرة.

تستند نظرية النوافذ المحطمة إلى أن الجريمة نتيجة حتمية لخلل يصيب المجتمع، وبالتالي إذا كانت هناك نافذة مكسورة ومر بعض الوقت، ولم يتم إصلاحها، سيستنتج الناس الذين يمرون بها أن لا أحدً يهتم، وليس هناك أحد مسؤول، وبعد فترة سيتم كسر المزيد من النوافذ، وبالتالي ستنتشر الفوضى من المبنى إلى الشارع الذي يقابله، وهذا سيؤدي إلى إرسال إشارة بأن كل شيء مباح.

وقد تكون البداية من مشكلات بسيطة نسبيا مثل الفوضى العامة، لكنها في الواقع تمثل دعوات إلى المزيد من الجرائم الخطيرة، فيا ترى كم من الأمثلة لدينا تحاكي نظرية النوافذ المحطمة؟ تبدأ كمشكلة بسيطة ثم تتطور في تعقيدها بعدد من المراحل والدوائر لتصبح نقطة تحول لنوع من الجرائم الخطيرة المنظمة.

نظرية النوافذ المحطمة هي نتاج فكر المنظرين (واضعي النظريات) في علم الجريمة: **جيمس ويلسون** و**جورج كيلنج** في عام 1982، حيث مثلت فترة الثمانينات من القرن الماضي قمة منحنى عدد الجرائم المرتكبة في مدينة نيويورك الأمريكية، لكن لسبب لم يُحدد بدقة انخفض هذا المعدل بمقدار 75%في فترة التسعينات التالية، فكثرت التحليلات والتفسيرات لكن تبدو **نظرية النوافذ المحطمة (Broken windows theory)** الأكثر قبولا ومنطقية.

يرى المنظران أن الجريمة هي نتاج الفوضى وعدم الالتزام بالنظام في المجتمعات البشرية، إذا حطم أحدهم نافذة زجاجية في الطريق العام، وتركت هذه النافذة دون تصليح، فسيبدأ المارة في الظن بأنه لا أحد يهتم، وبالتالي فلا يوجد أحد يتولى زمام الآمور، ومنه فستبدأ نوافذ أخرى تتحطم على ذات المنوال، وستبدأ الفوضى تعم البيت المقابل لهذا النافذة، ومنه إلى الشارع، ومنه إلى المجتمع كله، ولا تقتصر النظرية علىى النوافذ المحطمة، بل تشمل السيارات المهجورة، ومراتع القمامة، والأركان المظلمة من الشوارع والطرقات.

كانت البداية في مدينة نيويورك، تمثلت هذه النافذة المحطمة في الرسومات على المباني ووسائل المواصلات العامة (جرافيتي)، والتعرض للمارة في الشوارع، والسرقات والنشل والاغتصاب والقتل وما وراء ذلك، موجز القول أن **الجرائم عدوى تصيب المجتمع وتتنقل ما بين أفراده**، وكما أن الطاعون القاتل يأتي عن طريق جسيم لا يرى بالعين المجردة، فإن النظرية ترى أن ميكروب الفوضى يأتي من مستصغر الشر والفوضى.

وتحديدا في قطارات الأنفاق في منتصف الثمانينات، عينت بلدية نيويورك **جورج كيلنج** مستشارًا لقطاع المواصلات العامة – قطارات الأنفاق، وهو ناشدهم أن يضعوا هذه النظرية قيد الاختبار، بدءًا بالرسومات على القطارات، فرضخ قطاع المواصلات في النهاية، وعينوا **ديفيد جان** مشرفا على خطة تطوير مترو الأنفاق، والذي بلغت ميزانيتها أكثر من ملياري دولار.

كان النقاش هل البداية تكون بشراء قطارات حديثة، أم القضاء على تلوين الفتيان للقطارات، وعلى ظاهرة التهرب من ماكينات تحصيل نقود تذاكر ركوب القطارات، وعلى الجرائم التي تحدث في حرم محطات القطارات، أصر **ديفيد** على البدء بصغائر الآمور: **الرسومات.** لقد رأى فيها الدليل على فساد النظام، وبالتالي لن يجدي أي شيء آخر ما لم يعالج هذه العدوى أولا.

دحض **ديفيد** فكرة شراء القطارات الحديثة أولا وتشغيلها ثم القضاء على الرسامين بالتساؤل: ما فائدة

غسل سطح سفينة تايتنك وهي في طريقها للاصطدام بجبل الثلج الذي أغرقها في دقائق؟ رسم **ديفيد** خطته المعتمدة على غسل القطارات بشكل دوري وإزالة أي رسومات داخل أو خارج القطارات، أنشأ **ديفيد**

محطات غسل في نهايات رحلات القطارات، تتولى إزالة أي رسومات تظهر على القطارات، وإذا استلزم الآمر وقت طويل بخروج هذا القطار من الخدمة حتى الانتهاء من إزالة الرسومات التي لحقت به.

استمر **ديفيد** في عمله التنظيفي هذا من 1984 إلى 1990 ، دون كلل أو ملل، حتى عين قطاع

المواصلات **ويليام براتون** ليرأس شرطة المواصلات، ليبدأ المرحلة الثانية من تنظيم قطاع مترو الأنفاق . كان **وليام** رجلا ملتزما قد عينه **ديفيد جان،** ومؤمنا بنظرية النوافذ المحطمة، وممن تتلمذوا على يد **كيلنج،** قرر **ويليام** البدء بالقضاء على ظاهرة التهرب من دفع قيمة التذاكر، لأنه رأى فيها ما رآه **ديفيد** في الرسومات، إنها الميكروب حامل العدوى، فترك المخالفة دون عقاب يزيد من المخالفين.

وجد **ويليام** أنه عند قيام بعض الركاب بالتهرب من ماكينة تحصيل النقود، بالقفز فوقها أو الالتفاف

حولها، فسيبدأ الباقون في التقليد وعدم الدفع، رغم أنهم كانوا في طريقهم للدفع طواعية، لاحظ **ويليام**

كذلك تقاعس رجال الشرطة عن ملاحقة هؤلاء المتهربين، ذلك أن الجري ورائهم والقبض عليهم كان

يستغرق منهم يوما كاملا من العمل، وملء النماذج وكتابة البيانات، وحين يعودون بالمتهرب إلى المخفر، كان يفرج عنه في نهاية الليل.

ولحل هذا المشكل وفر **ويليام** حافلة وحولها لتكون مكتبا فلا يضطر رجال الشرطة للعودة إلى المخفر بطريدتهم، وجرى العمل بانتشار عشرات من رجال الشرطة المتنكرين، بدأوا في المحطات ذات أعلى نسب تهرب، وبدأوا يقبضون على المتهربين واحدا تلو الأخر، ثم يكبلونهم بالأصفاد خلف ظهورهم، ويجعلونهم يقفون في طابور على المحطة، ليراهم الجميع، ومع توفر المكتب المتنقل، استلزمت الإجراءات الورقية للقبض عليهم أقل من ساعة.

بدأ رجال الشرطة الذين كانوا ينفرون من ملاحقة المتهربين يلاحظون أن الموقفين هم هدايا السماء لهم، فمن كل سبعة متهربين، تبين بالبحث في سجلاتهم أن واحدًا منهم هارب من أحكام سابقة، ومن كل عشرين متهرب هناك واحد يحمل سلاح أو ممنوعات، وهكذا بدأ رجال الشرطة يبحثون عن مفاجآت القبض على المتهربين.

بعد فترة، بدأ رجال العصابات يتوقفون عن التهرب من دفع تذاكر الركوب، وبدأوا يتركون أسلحتهم ورائهم قبل ركوب القطارات، وتحول رجال **ويليام** للجرائم الأخرى مثل ركوب القطارات تحت تأثير الخمور والمخدرات، وهم ركزوا على الصغائر والدقائق قبل الكبائر والمصائب.

استمر **ويليام** من 1990 حتى 1994 وبالتحديد حتى تم انتخاب **رودولف جولياني** عمدة نيويورك، والذي قرر بعده تعيين **وليام** مدير عام لشرطة نيويورك كلها، وهو استمر على منهجه.